

الباب الأول

في ذكر من

أسسها من الأدارسة الحسينيين

وهذا الباب يستدعى الكلام على فضل الإقليم وحد اصقاعه وحكم أرضه، وأول من أفتتحه وسبب قدوم ولي الله إدريس^(١)، وذكر عقبه الذين أسسوا فاساً إلى غير ذلك مما يتعلق به من التبية عليه والتذكير بما انصاف من الأمور إليه . أما فضله فقد روى عن سفيان بن عيينة^(٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة في المغرب وإليه نسبتها، أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن علي بن الحسن الثالث في المدينة أيام ثورته على الهادي العباسي سنة ١٦٩ هـ ثم قتل الحسين ، فأنهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ ، ونزل مدينة ويلي " على مقربة من مراكش " وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد فعرفه إدريس بنفسه فأجاره وأكرمه ثم جمع البربر على القيام بدعوته ، وخلع طاعة بني العباس، فتم له الأمر " يوم الجمعة في ٤ رمضان ١٧٢ هـ " فجمع جيشاً كبيراً وخرج به غازياً فبلغ بلاد تادلة " قرب تلمسان وفاس " ففتح معاقلها وعاد إلى ويلي ثم غزا تلمسان فباع له صاحبها وعظم أمر إدريس فأستمر إلى أن توفي مسموماً في ويلي سنة ١٧٧ هـ . انظر الاستقصا ١/ ٦٧ ، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٢ .

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي الأعور ، أحد أئمة الإسلام، روى عن عمرو بن دينار والزهرى وزيد بن علاقة وزيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر وخلق. وعنه الشافعي وابن المديني وابن معين وابن راهوية والقلاس. مات سنة

١٩٨ هـ .

أنه قال : «أن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة أربعين خريفاً لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١) نقله ابن الرقيق^(٢) . وفي المصنفات الصحاح من رواية سعد^(٣) بن أبي وقاص^(٤) وغيره أن رسول الله صلى الله عليه

= انظر المزيد في : تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٢ ، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٢٣ ، الرسالة المستطرفة ٤١ ، شذرات الذهب ١/ ٣٥٤ ، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٦٤ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٠٨ ، العبر ١/ ٣٢٦ .

(١) ورد في مفتاح كنوز السنة كذلك رواه أبو داود في سننه .

(٢) هو إبراهيم بن القاسم أبو إسحاق المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق مؤرخ أديب من أهل القيروان ، كان يلى كتابة الحضرة فى الدولة الصنهاجية، وأستمر فيها زهاء نصف قرن ورحل إلى مصر سنة ٣٨٨ هـ يحمل هدية من باديس بن زيرى إلى الحاكم، وعاد إلى وطنه فستوفى فيه على الأرجح بعد سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م . وصفه ابن رشيى صاحب العمدة " بأنه شاعر سهل الكلام محكمه، لطيف الطبع غلب عليه أسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار وهو بذلك أحذق الناس " وقال ابن خلدون فى المقدمة : ابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التى كانت بالقيروان ولم يأت من بعده إلا مقلد ونعته ياقوت فى معجم الأدباء بالكتاب وأورد أسماء كتبه ومنها " تاريخ إفريقية والمغرب" عدة مجلدات و " كتاب النساء" و "نظم السلوك فى مسامرة الملوك" وله " قطب السرور فى وصف الألبذة الخمور" .

انظر: معجم الأدباء ١/ ٢٨٧ ، الإعلان بالتبويخ ١٢٢ ، الخطط المقرينية ١/ ٣٧٠ .

(٣) وردت فى الأصل سعيد والصواب فى المتن .

(٤) هو سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى الزهرى أبو إسحاق الصحابى الأمير فاتح العراق ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد سنة ٢٣ ق هـ / ٦٠٣ م ، ومات سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م .

وسلم قال: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(١) ومن طريق آخر «لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة وأهل المغرب فهم أهل المغرب الذي هو ضد المشرق»^(٢) على أصح التاويلات وأوضح الدلالات وحقيقة المغرب هو المكان الواقع في شق الغربي . قال أحد الشعراء

المغرب شئ ملىح —————
 البدر يرقب منه —————
 ولى دليل عليه —————
 والشمس تجرى إليه —————

وحكى أبو الجليل^(٣) في طبقات الأطباء أن ملك اليونان كتب إلى عامله بأرض بابل^(٤) .

= انظر : طبقات ابن سعد ٦/٦ ، الكنى والأسماء ١١/١ ، نكت الهميان ١٥٥ / أشهر
 مشاهير الإسلام ٥٢٥ ، تهذيب ابن عساكر ٩٣/٦ ، حلية الأولياء ٩٢/١ ، الرياض
 النضرة ٢ / ٢٩٢ - ٣٠١ ، تاريخ الخميس ١ / ٤٩٩ ، تهذيب التهذيب ٣ / ٤٨٣ .

(١) رواه أبو داود والدارقطني .

(٢) رواه الترمذى والنسائى .

(٣) نشر هذا الكتاب في عدة طبعات .

(٤) بكسر الباء أسم الناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر قال الأخفش : لا
 ينصرف لتأنيته وذلك أن أسم كل شئ مؤنث إذا كان علماً وكان على أكثر من ثلاثة
 أحرف فإنه لا ينصرف في المعرفة . وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى
 الْمَلَائِكِ بْنِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ "سورة البقرة الآية ١٠٢" قيل بابل وقيل دبناوند .
 وقال أبو الحسن : بابل الكوفة . وقال أبو معشر : الكلدانيون هم الذين كانوا يزلون
 بابل في الزمن الأول ويقال إن أول من سكنها نوح عليه السلام وهو أول من عمرها
 وكان قد نزلها بعقب الطوفان . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل
 دهقان الفلوجه عن عجائب بلادهم فقال كانت بابل سبع مدن في كل مدينة =

أن يبعث إليه بقراط ^(١) الحكيم بتجليل وتكريم وأمره أن يدفع إليه جملة قناطير من الذهب لينقله وامتنع وما ذلك إلا لفضل إقليمه على غيره وأرض بابل من الإقليم الرابع الذى فاس منه .

وأول بيلاذ المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة ^(٢) جبال اوتان ^(٣) فى المشرق وهذه الجبال آخر عمل مصر وأول عمل القيروان ^(٤) وينقسم

= أعجوبة ليست فى الأخرى، قال البكرى: بابل بالعراق مدينة السحر معروفة . روى أبو داود من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عمار بن سعد المرادى عن أبى صالح الغفارى أن علياً مر بيابل، فجاءه المؤذن يؤذنه بالصلاة، صلاة العصر، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام ، وقال إن حى فهان أن أصلى فى المقبرة ، وهانئ أن أصلى بيابل فإنها ملعونة. قال أصحاب الأخبار : بنى عمرو الخاطى الجدل بيابل، طوله فى السماء خمسة آلاف ذراع وهو البيان الذى ذكره الله فى كتابه فقال تعالى : ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ سورة النحل الآية ٢٦ ، قالوا : وبات الناس ولسانهم سريانى فأصبحوا وقد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لساناً، وأصبح كل يليل بلسانه، فسمى الموضع بابلاً، وقال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني وكان اسمه خيثارث وربما سماوا العراق بابلاً.

انظر : معجم البلدان ١ / ٣٠٨ - ٣١٠ ، معجم ما استعجم ١ / ٢١٨ - ٢١٩ .

(١) الطيب اليونانى والفيلسوف له عدة مصنفات ومؤلفات.

(٢) بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية وأسم مدينتها أنطابلس .

انظر : مزيد من التفاصيل فى معجم البلدان ١ / ٣٨٨ - ٤٠١ .

(٣) له ذكر فى مختصر البلدان لابن الفقيه .

(٤) مدينة عظيمة إفريقية غربت دهرأ وليس بالغرب مدينة أجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقية وأخربت البلاد فانتقل أهلها عنها فليس بها اليوم إلا صعلوك لا يطمع فيه ، =

المغرب على ثلاثة أصقاع : والصقع الأول هو موضع كرسى إفريقية ثم جبال برقة واوتان إلى جبال نفوسة .

والصقع الثاني : المغرب الأوسط وأوله تاهرت^(١) إلى جبل سبته إلى جبال درن^(٢) .
والصقع الثالث : السوس الأقصى^(٣) وحدّه في المغرب البحر المحيط الأعظم من ماسة إلى صحراء المرابطين .

وهذا الأقليم الرابع هو الأوسط من الأقاليم السبعة التي رسمها حكماء الهند وهو أعمرها وفيه أرض بابل وجزيرة العرب وبقية بلاد البربر في أقصى المغرب وبعض مدن جزيرة الأندلس كإشبيلية^(٤) وقرطبة^(٥)

= وهي مدينة مصرت في الإسلام في أيام معاوية .

انظر : معجم البلدان ٤ / ٤٢٠ - ٤٢١ .

(١) بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال

لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت الخدنة، بينهما وبين المسيلة ست مراحل .

انظر : معجم البلدان ٢ / ٧ - ٨ .

(٢) بالتحريك جبل من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى .

انظر : معجم البلدان ٢ / ٤٥٢ .

(٣) كورة مدينتها طرفلة ، ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين .

انظر : معجم البلدان ٣ / ٢٨٩

(٤) بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وباء ساكنة ولام وياء خفيفة مدينة كبيرة عظيمة

وبها قاعدة ملك الأندلس وسريه .

انظر : معجم البلدان ١ / ١٩٥ .

(٥) وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً للملكها وقصبتها وبها كانت

ملوك بني أمية .

انظر : معجم البلدان ٤ / ٣٢٤ - ٣٢٥ .

وغرناطة ^(١) والمرية ^(٢) ومرسية ^(٣) ، وفيه بغداد وبأعتاداه أعتدلت أبدان أهله
فسلموا من شجرة ^(٤) الروم وسواد الجيش وغلط الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة
أهل الصين ، وكما أعتدلوا في الحلقة لطفوا في الفطنة والذكاء والعلم .

ذكر مضي ذلك صاحب المدهش وغيره وهذا الإقليم عند الحكماء كريم
لبقعة طيب التربة فحصب البقعة كثير العيون والأنهار وقليل العوام ذوات السموم،
معتدل الهواء في الفصول الأربعة على قدر متقارب من الاعتدال متوسط في أكثر
الزمان تتصل فوائده وفواكهه في كل الأزمنة .

(١) بفتح أوله وسكون ثانية ثم نون وبعد الألف طاء مهملة . وهي أقدم مدن كورة البيرة
من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في
القديم ويعرف الآن بنهر حداره .

انظر : معجم البلدان ٤ / ١٩٥ .

(٢) بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحتها ، وهي مدينة كبيرة من كورة البيرة
من أعمال الأندلس .

انظر : معجم البلدان ٥ / ١١٩ .

(٣) بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء ، مدينة بالأندلس
من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم .

انظر : معجم البلدان ٥ / ١٠٧ .

(٤) وردت في الأصل شفرة والصواب في المتن .

وأما حكم أرضه فقال أبو الحسن القابسي^(١) في شرح موطأ^(٢) مالك^(٣) رحمه الله من كتاب الجهاد اختلف الناس في أرض المغرب هل افتتحت عنوة أو صلحاً أو مختلطة على ثلاثة أقوال :

(١) هو على بن محمد بن خلف المعافري القيرواني أبو الحسن بن القابسي عالم المالكية بإفريقية في عصره ، كان حافظاً للحديث وعلمه ورجاله فقيهاً أصولياً أعمى ، من أهل القيروان. له تصانيف منها " الممهّد " كبير جداً في الفقه وأحكام الديانات و " المنقذ من شبه التأويل " و " ملخص الموطأ " و " الرسالة المفضلة لأحوال المعلمين والمتعلمين " ولد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م ومات سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م .

انظر : معالم الإيمان ٣ / ١٦٨ ، نكت الهميان ٢١٧ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٣٩ .

(٢) بمعنى السهل الواضح .

(٣) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة. روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحيد الطويل وخلق. وعنه الشافعي وخلائق جمعهم الخطيب في مجلد. مات بالمدينة المنورة سنة ١٧٩ هـ .

انظر : الأنساب ورقة ٤١ م ، البداية والنهاية ١٠ / ١٧٤ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٧ ، تهذيب الأسماء ٢ / ٧٥ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٥ ، جمهرة الأنساب لابن حزم ٤٣٥ ، حلية الأولياء ٦ / ٣١٣ ، الديباج المذهب ١٧ ، الرسالة المستطرفة ١٣ ، شذرات الذهب ١ / ٢٨٩ ، صفوة الصفوة ٢ / ٩٩ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٤٥ ، طبقات الفقهاء ٦٧ ، طبقات القراء لابن الجزري ٢ / ٣٥ ، طبقات المفسرين للداودي ٢ / ٢٩٣ ، العبر ١ / ٢٧٢ ، اللباب ١ / ٥٥ ، مرآة الجنان ١ / ٣٧٣ ، مروج الذهب ٣ / ٣٥٠ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٩٦ .

الأول : الذى يظهر من رواية ابن القاسم^(١) عن مالك أنها افتتحت عنوة بالسيف لأنه جعل فى المعادن النظر الإمام ولو صح ذلك لم يجوز لأحد بيع شئ منها كأرض مصر وطمجة^(٢) لأنها افتتحت بالسيف .

الثانى : قيل صالحاً عليها أهلها فإن كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض .

الثالث : قيل أنها مختلطة هرب بعضهم من بعض وتركوها فمن بيده شئ كان له وهو الصحيح والله أعلم .

وقال الداوودى^(٣) : فى كتاب الأصول له يمر بسط كلام فى ذلك . أما الذى يوجب النظر فيها أن تجرى على ما تواتت عليه القرون الماضية فى آخرها وتقرر فى أيدي مالكها إلا ما تدارت فيه الأخبار أنه اغتصب أو جلى عنه أهله .

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقى أبو عبد الله المصرى الفقيه، رواية المسائل عن مالك، روى عن بكر بن مضر وابن عينة وعدة . وعنه ابنه موسى وأصغى بن الفرج وسحنون بن سعيد. ثقة ، مات سنة ١٩١ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ١ / ٢٧٦ ، اللباب ٢ / ١٢٠ ، العبر ١ / ٣٠٧ ، شذرات الذهب ١ / ٣٢٩ ، الديباج المذهب ١٤٦ ، حسن المحاضرة ١ / ٣٠٣ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٦ ، تهذيب التهذيب ٦ / ٧١ .

(٢) بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء .
انظر : التفاصيل فى فى معجم البلدان ٤ / ٤٣ .

(٣) هو محمد بن عبد الحى بن محمد عبد الحليم الأنصارى الكنوى الهندى أبو الحسنات عالم بالحديث والتراجم من فقهاء الحنفية . ولد سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م ، ومات سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م . له عدة مصنفات منها " الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة " و " الإفادة الخطيرة " فى الهيئة . و " التحقيق العجيب " فقه و " الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل " فى رجال الحديث و " ظفر الأمانى فى مختصر الجرجاني " فى مصطلح الحديث ، =

قال التادلي^(١) الحافظ أن أرض المغرب أسلم عليها أهلها . ويحكى أن أحد عمال المنصور بن أبي عامر^(٢) حين تغلب على أرض فاس قال لهم أخبروني على أرضكم أصلح هي أم عنوة . فقالوا لا جواب عندنا حتى تأتي الفقيه يعنون أباجيدة بن أحمد^(٣) فجاء أبوجيدة فسأله فقال ليست بصلح ولا عنوة إنما أسلم عليها ، فقال لهم : خلصكم الرجل ، وأبوجيدة هو المدفون خارج باب بنى مسافر أحد أبواب فاس والدعاء عند قبره مستجاب وله نفع الله به كرامات من أراد

= و "مجموعة الفتاوى" مجلدان و "نفع المفتي والسائل بجميع متفرقات المسائل" فقه و "التعليق الممجّد" على موطأ الإمام محمد الشيباني، و "فرحة المدرسين بأسماء المؤلفات والمؤلفين" و "طرب الأمانا بتراجم الأفاضل" و "إنباء الخلان بأنباء علماء هندستان".

انظر : الرسالة المستطرفة ١١٥ ، الفوائد البهية ٢٤٨ .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي أبو محمد قاضي فاس ومن أعلامها كان فقيهاً أديباً مفتحاً شاعراً، بطلاً من الشجعان له "رسائل" نسبتة إلى تادلة من جبال البربر بالمغرب، ولد سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م ، ومات سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م بمكناسة مغرباً عن وطنه .

انظر : جذوة الاقباس ٤ ، لسان الميزان ٣/٣٤٣ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني أبو عامر المعروف بالمنصور بن أبي عامر أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي وأحد الشجعان الدهاء أصله من الجزيرة الخضراء . ولد سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٨ م ومات سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م .

انظر : الحلة السيرة ١٤٨ ، تاريخ قضاة الأندلس ٨٠ ، نفع الطيب ١ / ١٨٩ ، تاريخ ابن خلدون ٤ / ١٤٧ ، الكامل في التاريخ ٩ / ٦١ ، بغية الملتبس ١٠٥ ، الوافي بالوفيات ٣ / ٣١٢ ، البيان المغرب ٢ / ٣٠١ .

(٣) ورد في الحلة السيرة ٢٥٧ .

الوقوف عليها فيطالع كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد الذي ألفه أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوى المعروف بالكثاني^(١) .

نزول البربر بالمغرب

وأما سبب نزول البربر بأرض المغرب من أرض فلسطين فإن ملكها جالوت لما قتله داود عليه السلام جلب البربر بأرض المغرب ففترقت في تلك البلاد من موضع القيروان إلى ساحل البحر الأندلسي وكانت هذه البلاد قبل البربر للروم فجلبت الروم قدامهم إلى صقلية وهي جزيرة عظيمة في البحر تجازى بلاد إفريقية ثم رجع الأفارقة من الروم إلى مدائنهم على صلح من البربر إذ كرهت البربر نزول المدائن فزلوا في الجبال والرمال والوهاد لكوفهم أصحاب إبل وبقر وغنم وسكان بيوت آدم وشعر فعادت المدن رومية والجبال والصحارى بربرية وهم يومئذ على أديان مختلفة ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه^(٢) وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه^(٣)

(١) الثابت هو محمد بن عبد الكبير بن محمد أبو الفيض وأبو عبد الله الكثاني .

انظر : معجم الشيوخ / ١ / ٤٤ - ٤٩ .

(٢) انظر مزيد من التفاصيل في : أسد الغابة / ٣ / ٣٠٩ ، تاريخ الخلفاء ٢٧ ، تذكرة الحفاظ

١ / ٢ ، شذرات الذهب / ١ / ٢٧ ، طبقات الفقهاء ٣٦ ، العبر / ١ / ١٦ ، مروج

الذهب / ٢ / ٣٠٥ .

(٣) انظر مزيد من التفاصيل في : أسد الغابة / ٤ / ١٤٥ ، الإصابة / ٢ / ٥١١ ، تاريخ الخلفاء

١٠٨ ، تذكرة الحفاظ / ١ / ٥ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩ ، شذرات الذهب / ١ / ٣٣ ،

طبقات الفقهاء ٣٨ ، طبقات القراء لابن الجزرى / ١ / ٥٩١ ، العبر / ١ / ٢٧ ، مروج

الذهب / ٢ / ٣١٢ ، النجوم الزاهرة / ١ / ٧٨ .

وعثمان^(١) وعلى^(٢) رضى الله عنهما وصدر دولة بنى أمية ، ولى يزيد بن معاوية^(٣) عقبة بن نافع الفهري^(٤) على بلاد المغرب فى سنة اثنتين وستين من الهجرة واستفتح بعضه إلى أن بلغ البحر الأعظم حيث ماسة وأدخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام فقال أصحابه على من تسلم يا ولى الله ، فقال لهم أن قوم يونس عليه السلام سلموا على وسلمت عليهم ولولا البحر لأريتكم إياهم وأسلم إذ ذاك على يده بعض من بالمغرب وحين رجع منه ارتد بعض من

(١) انظر التفاصيل فى : أسد الغابة ٣ / ٥٨٤ ، الإصابة ٢ / ٤٥٥ ، تاريخ الخلفاء ١٤٧ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٨ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٢١ ، شذرات الذهب ١ / ٤٠ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٥٠٧ ، طبقات القراء للذهبي ١ / ٢٩ ، العبر ١ / ٣٦ ، مروج الذهب ٢ / ٣٤٠ ، النجوم الزاهرة ١ / ٩٢ .

(٢) انظر : أسد الغابة ٤ / ٩١ ، الإصابة ٢ / ٥٠١ ، تاريخ بغداد ١ / ١٣٣ ، تاريخ الخلفاء ١٦٦ ، تذكرة الحفاظ ١ / ١٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٢ ، شذرات الذهب ١ / ٤٩ ، طبقات القراء للذهبي ١ / ٣٠ ، العبر ١ / ٤٦ ، مروج الذهب ٢ / ٣٥٨ ، النجوم الزاهرة ١ / ١١٩ .

(٣) انظر : تاريخ الخميس ٢ / ٣٠٠ ، منهاج السنة ٢ / ٢٣٧ - ٢٥٤ ، الكامل ٤ / ٤٩ ، مختصر تاريخ العرب ٧١ - ٧٦ ، البدء والتاريخ ٦ / ٦ - ١٦ ، تاريخ يعقوبى ٢ / ٢١٥ ، جهرة الأنساب ١٠٣ ، بلغة الظرفاء ١٩ ، مروج الذهب ٢ / ٦٧ - ٧٣ ، القلائد الجوهريّة ٢٦٢ ، رغبة الأمل ٤ / ٨٣ - ٨٤ و ٥ / ١٢٩ ، الوزراء والكتاب ٢٥ .

(٤) هو عقبة بن نافع عبد القيس الأموى القرشى الفهري فاتح من كبار القسّادة فى صدر الإسلام وهو بانى مدينة القيروان . ولد سنة ١ ق هـ - / ٦٢١ م ، ومات سنة ٦٣ هـ / ٦٨٣ م .

انظر : الاستقصا ١ / ٣٦ - ٣٨ ، البيان المغرب ١ / ١٩ ، فتح العرب للمغرب ١٣٠ - ١٥٢ ثم ١٧٨ - ٢٠٥ ، بغية الرواد ١ / ٧٦ .

أسلم ثم ولى الوليد بن عبد الملك^(١) بن مروان بن الحكم موسى بن نصير^(٢) على المغرب أيضاً في سنة اثنتين وتسعين وصار فيه حتى بلغ ستة وطمجة وجاز منه لبر الأندلس وافتتحه مع مولاه طارق بن زياد^(٣) وأسلم على يده أيضاً بعض من بالمغرب حتى لم يبق منه موضع إلا وعند الله تعالى فيه بسبب قدوم ولى الله الصالح إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكان سبب قدومه من المشرق إلى المغرب على ما حكاه محمد بن جرير الطبرى^(٤) وغيره

(١) انظر التفاصيل في : الكامل ٣ / ٥ ، تاريخ الطبرى ٩٧ / ٨ ، بلغة الظرفاء ٢٣ ، تاريخ اليعقوبى ٢٧ / ٣ ، تاريخ الخميس ٢ / ٣١١ - ٣١٤ ، مروج الذهب ٢ / ١١٩ - ١٢٧ ، الذهب المسبوك ٢٩ ، عنوان المعارف للصاحب ١٥ .

(٢) هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي بالولاء أبو عبد الرحمن فاتح الأندلس، أصله من وادى القرى بالحجاز، كان أبوه نصير على حرس معاوية. ولد سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ م ومات سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م .

انظر : نفح الطيب ١ / ١٠٨ - ١٣٤ ، الحلة السراء ٣٠ ، وفيات الأعيان ٢ / ١٣٤ ، جذوة المقصص ٣١٧ ، بغية الملتص ٤٤٢ ، تراجم إسلامية ١٠٩ ، البيان المغرب ١ / ٤٦ ، نخب تاريخه ١١

(٣) هو طارق بن زياد الليثى بالولاء فاتح الأندلس، أصله من البربر أسلم على يد موسى بن نصير ، ولد سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، ومات سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م .

انظر : نفح الطيب ١ / ١٠٨ ، البيان المغرب ١ / ٤٣ ، بغية الملتص ١١ و ٣١٥ ، المعجب ٩ - ١١ و ٣١٥ ، المعجب ٩ - ١١ ، الكامل ٤ / ٢١٢ ، تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨ .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم أبو جعفر الطبرى له عدة مصنفات منها " تهذيب الآثار " و " تاريخ الإسلام " و " التفسير " مات سنة ٣١٩ هـ .

انظر : البداية والنهاية ١١ / ١٣٥ ، تاريخ بغداد ٢ / ١٦٢ ، تذكيرة =

أن إسحاق بن عيسى الأمير بالمدينة وقد على الخليفة موسى الهادي (١) بن أبي جعفر المنصور واستخلف عليها عمر (٢) بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فظهر منه مخالفة في أحكامه فغير عليه ذلك حسين بن علي ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ورفض لناس إمرته واستدعوا حسينا للبيعة ، فجلس على المنبر وعليه عمامة بيضاء ، وصار الناس يأتونه يبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجاء خالد البربرى في مائتين من الجند يقاتل حسينا فقاما إليه ابنا عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهما يحيى وإدريس فضربه يحيى على أنف البيضة وقطعها وقطع أنفه فشربت عيناه بالدم فلم يبصر فقتل وجعل يده بسيفه عن نفسه وهو لا يبصر واستداره إدريس من خلفه فضربه وصرعه وعلواه بأسيا فهما حتى قتلاه ثم قتل بالمدينة شيعة بنى العباس وجاء مبارك التركي (٣) فأغاثهم ثم تركهم ، وأقام حسين بالمدينة أحد عشر يوما وأصحابه فغدروه ولحق بمكة وكان وفد للحج تلك السنة محمد بن سليمان بن علي بن محمد بن عبد الله ابن العباس والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى بن موسى بن العباس

= الحفاظ ٢ / ٧١٠ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٧٨ ، طبقات السبكي ٣ / ١٢٠ ، طبقات الفقهاء ٩٣ ، طبقات العبادى ٥٢ ، الرواى بالوفيات ٢ / ٢٨٤ .

(١) انظر : الكامل ٦ / ٢٩ - ٣٦ ، تاريخ اليعقوبى ٣ / ١٣٦ .

(٢) النظر المزيد فى : تاريخ الخلفاء ٢٢٨ ، تذكرة الحفاظ ١ / ١١٨ ، تهذيب التهذيب

٧ / ٤٧٥ ، حلية الأولياء ٥ / ٢٥٣ ، خلاصة تهذيب الكمال ٢٤١ ، شذرات الذهب

١ / ١١٩ ، صفوة الصفوة ٢ / ٦٣ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٢٤٢ ، طبقات الفقهاء ٦٤ ،

طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٥٩٣ ، العبر ١ / ١٢٠ ، النجوم الزاهرة ١ / ٢٤٦ .

(٣) النظر : تاريخ المغرب للدكتور حسين مؤنس ٢ / ١٢٠ .

وعلى الموسم سليمان بن أبي جعفر المنصور فاتوا ذا طوى في أربعة آلاف فارس ،
وقد ورد كتاب الهادى بتولية محمد بن سليمان الحرب فوجه محمداً أبا كامل مولى
لإسماعيل بن على فلما رأى القوم صار معهم فظفر به فقتله ثم قاتل محمد بن
سليمان حسينا فهزمه وقتله وقتل أكثر من كان معه وأقاموا ثلاثة أيام حتى أكلت
لحومهم الطير والسباع وكان ذلك بفتح وهو موضع فيه قرية على مسيرة ثلاثة
أميال من مكة شرفها الله تعالى . كذا ضبطها البكرى ^(١) في كتاب معجم ما
استعجم في حرف الفاء وتشديد الخاء المعجمة وكثير من لا خبرة له بالتاريخ يقول
له بالجيم والتحقيق أنه بالخاء المعجمة كما ذكر وكانت هذه الواقعة في يوم السبت
وصادفت يوم التروية الثامن لشهر الحجة من سنة تسعة وستين ومائة وقال فيه أحد
الشعراء :

فلا بكيـن على الحسـين	بعولة وعلى الحسنـن
وعلى ابن عاتكة الـذى	تركوه ليس بـدى كـفنـن
تركوا بفتح غـدوة	في غير مترلة الوطـنـن
كانوا كراما فتلـوا	لا طائشين ولا جبـنـن
غسلوا المدلة عنـهم	غسل الثياب من الـسـدرن
هدى العباد بمجدهـم	فلهم على الناس المنـنـن

وحضره بعد الوفاة محمد بن سليمان قاتل حسين فجعل جلساؤه يلقنونه

الشهادة وهو يقول :

آلا ليت أمى لم تلدى ولم اكـن لقيت بفتح لا حسينا ولا حسن

(١) انظر : ترجمته في : الصلة لابن بشكوال ٢٨٢ ، طبقات الأطباء ٢ / ٥٢ ،
بغية الوعاة ٢٨٥ ، آداب اللغة ٣ / ٨٤ ، دائرة المعارف الإسلامية ٤٨ - ٥٠٠ ،
وقد نشر هذا الكتاب في لجنة التأليف والترجمة - بالقاهرة .

وفي هذه الواقعة أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب علي ما حكاها المظفرى^(١) وصار مع مولاه راشد إلى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن منصور فجعله على البريد إلى المغرب فوقع بحومة بلاد طنجة ثم إلى بلد ويلي قاعدة زرهون واستجاب له قبائل البربر وعلاه أمره وشاع خيره، وهذه البلدة قديمة البناء يذكر أنها من بنيان القبط وهي معروفة الآن بقصر فرعون من أرض أولاد تعلقو وهي متوسطة بين العمارات خصيبة كريمة المياه والفرس والزيتون كان لها سور عظيم قد بقي بعضه وفيه عبرة للمعتبرين . ولما وصل مولانا إدريس إلى بلد ويلي^(٢) نزل على صاحبي الأمير إسحاق بن محمد ابن عبد الله الأوروبي فأقبل عليه واكرامه وبالغ في بره ، وكان نزوله بو ليلي في أول شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين ومائة فأقام عنده والناس يفدون عليه إلى أن دخل شهر رمضان السنة فبايعه جميع قبائل البربر وخرج بهم إلى تامسنا^(٣) ففتح شلة^(٤) وسائر تلك الحصون وصار إلى تادله^(٥) فافتح حصونه إلى أن بلغ ماسة ، وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والإسلام بما

(١) نشر هذا الكتاب في بيروت عام ١٩٨٧ م .

(٢) مدينة بالمغرب قرب طنجة لما دخل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ناجياً من وقعة فخ حصل بها في سنة ١٧٢ هـ في أيام الرشيد وأقام بها على أن مات مسموماً في قصة طويلة سنة ١٧٤ هـ .

انظر : معجم البلدان ٣٨٤ / ٥ طبعة دار صادر .

(٣) قرية لكثامة وزنانة قرب المسيلة وأشير بالمغرب .

انظر : معجم البلدان ٧ / ٢ .

(٤) انظر : المعجب للمراكشي ١٧ .

(٥) بفتح الدال واللام من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس .

انظر : معجم البلدان ٦ - ٥ / ٢ .

قليل فأسلم جميعهم لم يبق بالمغرب موضع يعبد غير الله فيه وذلك مما أخبر الرسول به عليه الصلاة والسلام أن يكون فإنه في جاء في الصحيح أنه قال :

زويت لى الأرض فأريت مشارقتها ومغارها وسيبلغ ملك أمى ما زوى لى منها ولما نزل إدريس بخارج تلمسان واستقلت له إمارة المغرب بأسره اتصل ذلك بالرشيد وضاق وأهتم لذلك وخشى أن يتوجه لإفريقية فيصل إليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبة الناس فى آل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه الرشيد من يقاله واختار لذلك سليمان بن جرير فخرج إليه من بغداد حتى وصل المغرب وقدم إلى إدريس بمدينة وليلى فسلم عليه سليمان وسأله إدريس عن اسمه ونسبه ومن أى بلاد قدم ؟ وما سبب قدومه إلى المغرب ؟ فذكر له أنه من بعض موالى أبيه وأنه اتصل به خبره فأتاه برسم خدمته لأجل محبته وولايته لأهل البيت إذ لا يعدل بهم أحد ولا يقاس بهم سواهم فأنس به إدريس وسكن إلى فوله وسريه ، فكان إدريس لا يعقد ولا يأكل ولا يشر إلا معه ولم يزل يترقب الفرصة ويعمل الحيلة فى قتله فلم يجد لذلك سبيلاً لمالاة مولاة راشد^(١) الذى لا يزيأله

(١) انظر التفاصيل فى: الأنيس المطرب ٣٧ . هو راشد مولى إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن المنى، وأمينه كان فى خدمته بالمدينة ثم بمكة وخرج معه من هذه عاربن مستشرين بعد وقعة "فخ" التى قتل فيها الحسين بن على بن الحسن المثلث سنة ١٦٩ هـ ، فمرا بمصر وإفريقية ودخلا المغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ ، فأقاما بمدينة "وليلى" بقرب مراكش. ودعا إدريس إلى نفسه، فعظم أمره وملك "وليلى" وبلاداً أخرى ، وراشد عون له وكالء . وقتل إدريس بالسوم . فلحق راشد بقاتله فضربه بالسيف فقطع يماه ، وعاد إلى وليلى، فعلم من جارية لإدريس أسمها " كتره" أنها حامل ، فتولى إدارة الملك بأسم "الجنين" إلى أن ولدت كتره، فسمى ولدها (إدريساً) على اسم أبيه وجدد له بيعة البربر، وقام بأمره وأمر دولته ، وعلمه ورياه. وكان الأغالبية فى القفروان يتبعون أخبار الدولة الناشئة فى جوارهم ، ويبعثون بالأموال للقضاء على إدريس (الرضيع) وكانت لهم يد =

ولا يفارقه إلى أن غاب رشيد ذلك يوماً في بعض شؤونه فدخل عليه سليمان فوجده .
 فقال: يا سيدى جعلت فداك إني جئت من المشرق بفارورة طيب لا تطيب بها ثم إني
 رأيت أن الإمام أولى بها فخذها لتطيب بها فقد اترك بها على نفسى ثم أخرجها
 ووضعها بين يدى إدريس فأخذ إدريس الفارورة ففتحها وشمها ، فلما رءاه سليمان
 فعل ذلك تحصل له مراده وتمت حيلته جعل يتسلل من المجلس وخرج كأنه يريد
 قضاء حاجته فصار إلى منزله وركب فرساً له من سباق الخيل كان قد أعده لذلك
 وخرج من ولى يطلب النجاة وكانت الفارورة مسمومة فحين استنشق إدريس
 الطيب الذى بها صعد السم إلى خياشمه وانتمى إلى دماغه فغشى عليه وسقط ميتا
 وذلك في منسلخ شهر ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين ومائة فكانت أيام دولته
 ستين وثمانية أشهر انتهى ما حكاه البكرى في مسالكه . قال شاعر على ما حكاه
 المظفرى .

أتظن يا إدريس إنك مفلت	كيد الخليفة أو يفيك فرار
أن السوف إذا اقتضاها سخطه	طالت تقصر دورها الأعمار
فليدركنك أو تدلى ببلدة	لا يمتدى فيها فرار
ملك كان الموت يتبع أمره	فمق يقول تطيعه الأقدار

ودفن إدريس رضى الله عنه بخارج باب ولى ولم يزل الناس يعتنون
 بزيارة قبره ويدعون إلى الله في الحوائج فيستجاب لهم وظهر جسده بكفنه في سنة

= في : قتل أبيه بالسم . فما زالوا على ذلك إلى أن تمكن " إبراهيم بن الأغلب " من
 دس بعض البربر لراشد ، فقتلوه غيلة ، في ولى ، بعد نشوء إدريس وتسلمه عرش أبيه
 بقليل .

ثمانى عشرة وسبعمائة وازدحم الناس عليه من سائر أقطار المغرب حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك فبعث أمير المسلمين أبو سعيد بن يعقوب بن عبد الحق تقبل الله أعماله بتفريقهم وتحسيم الفتن من أجل ذلك ، كذا وقفت عليه في أمر سلطاني يقضى بذلك .

ولما توفى إدريس ترك جارية له مولده من بلاد البربر اسمها كثره حاملاً في السابع من أشهر حملها وحين دنا وضعها ولدت ولداً ذكراً أشبه الناس بأبيه إدريس وذلك في رجب من سنة خمس وسبعين ومائة وسمى باسم أبيه وأقام راشد مولاه بأمره وكلفه إلى أن فطن وشب فأدبه أحسن أدب وأقرأه القرآن فحفظه وله من السن ثمانية أعوام وعلمه السنة الفقه والشعر وأمثال العرب وحكمها وسياستها ودربه على ركوب الخيل ورمى بالسهام ولما كمل له من السن إحدى عشرة سنة أو نحوها أخذله مولاه راشد البيعة من سائر القبائل فبويج له بجامع مدينة ويلي في يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول من سنة ست وثمانين ومائة فقد بان له من هذا أن مدة بقيه حمل أمه به بعد وفاة والدة ومدة كفالة راشد له عشر سنين وعشرة أشهر وحين أخذت له البيعة صعد المنبر فخطب الناس في ذلك اليوم فكان مما قال الحمد لله أحمده واستغفره واستعين به وأتوكل عليه وأعوذ بالله من شر نفسى ومن شر كل ذى شر وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أيها الناس أنا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف فيه المحسنين الأجر وللسيئين الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمد الأعناق إلى غيرنا فإن الذى تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا . ثم دعا الناس إلى بيعته فبايعوه بل وعظهم على التمسك بطاعة الله وطاعته ، فعجب الناس من فصاحته وبيانه ووزانة عقله وبلاغته وبراعته ثم نزل فتسارع الناس إلى بيعته

وازدحموا عليه يقبلون بديه فبايعه كافة قبائل المغرب من زنانة ووربة وصنهاجة
وغمارة وسائر قبائل البربر وتمت له البيعة واستقام له الأمر بالمغرب وتوطأ ملكه
وكبر سلطانه وفريت جنوده وعظمت جيوشه ومما يذكر هنا أنه قال في حال قتاله
لمن عانده

أليس أبونا هاشم شدازره وأوصى بنيه بالظعان وبالضرب
فلسنا نغل الحرب حتى تملنا ولا نشتكى مما يول إلى النصب
ولا كنا أهل الحفاظ والنهي إذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقصدوا نحوه من كل مكان ووفدوا إليه من سائر البلدان وكان ممن وفد
عليه نحو من خمسمائة فارس من إفريقية والأندلس من القيسية والأزد والخزرج
ومدج وبنى يحصب وغيرهم ،فسر الإمام إدريس بوفادهم وأجزل صلاحهم وقرهم
ورفعهم وجعلهم بطانته دون البربر فأعتر بهم لأنه كان فريداً بين البربر . ولما رأى
الإمام إدريس أن الأمر استقام له وعظم ملكه وكثر حشمه وضاقت بهم مدينة
وليلى عزم الانتقال منها وأراد أن يبني مدينة لنفسه فيسكنها هو وخاصته وجنوده
ووجوه أهل دولته فركب بعد الاستخارة في خاصة من قومه وجال جملة من
النواحي إلى أن بلغ جبل زالغ فعزم أن يبني به مدينة عظيمة فظهر له أن الهدام تكثر
فيه زمن الفيض فانتقل لوادى سبو وعزم أيضاً أن يبني به المدينة فظهر أن السيول
تصل إليها في زمن الفطر وما زال ترداده حيث يبني واستشار وزيره عمير بن
مصعب الأزدي ليرتاد له موضعاً للمدينة فصار عمير في جماعة من قومه لينظر ما
طلب فأخترق تلك النواحي إلى أن نزل على عين ماء مطردة فتوضأ منها هو ومن
كان معه وصلّى بهم حولها ثم دعى الله تعالى أن يهون مطلبه وأن يدلّه على موضع
يرتضيه لعبادته فسميت العين به عين عمير إلى الآن ثم ركب وتوجه نحو فحصر

ساييس يطلب ما خرج إليه حتى وصل إلى العيون التي ينبع منها وادى فاس فرأى عيوناً كثيرة تزيد على ستين عنصر اطرد على رضراض حول العيون بعد أن شرب من الماء فاستطابه ثم صار مع مسير الوادى حتى وصل إلى موضع مدينة فاس فنظر إلى ما بين العدوتين فرأى غيضة ملتفة الأشجار مطردة العيون والأهوار. وفي مواضع منها خيام من شجر يسكنها قبيلة زنانة يعرفون بزواغة وبنى يرعس، فرجع عمير على الإمام إدريس وأعلمه بما رأى من الأرض وما أستحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها ، فأعجب الإمام إدريس من ذلك وسأل عن ملاك الأرض ، فقيل له هم قوم من زواغة يعرفون بنى الخير . فقال الإمام إدريس هذا فال حسن ثم بعث إليهم وأشترى منهم موضع الأرض بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأنعقد الأَشهاد بينهم بذلك في رسم من انشاء كاتبه أبى الحسين عبد الله ابن مالك المالكى الأنصارى المخزومى وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائة ثم أن الإمام إدريس ضرب اخيخته وقبابه بالموضع المعروف بجرواوة من عدوة الأندلس ودور عليه جرواوة من الخشب فسمى الموضع جرواوة إلى زمننا هذا ثم انتقل بعد ذلك إلى الموضع المعروف بالمقرمدة من عدوة القرويين حيث دار الفيطون المتصلة لمسجد الشرفاء ثم شرع في البناء حسبما يذكر بعد كذا ذكره ابن الرقيق وغيره .

ومن فضل هذه المدينة وشرفها ما نقله خلقهم عن سلفهم أنه وجد في كتاب دارس بن إسماعيل^(١) المكنى بأبى ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى حدثنى على ابن أبى مطر بالإسكندرية قال حدثنى محمد بن إبراهيم^(٢) الموازع عن

(١) ورد ذكره في عدة مصادر .

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن زياد المواز أبو عبد الله فقيه مالكى من أهل الإسكندرية انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره . له عدة تصانيف . مات سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م . انظر المزيد في : شذرات الذهب ١٧٧/٢ ، الوافى بالوفيات ١ / ٣٣٥ .

عبد الرحمن بن القاسم ^(١) عن مالك بن أنس عن محمد بن شهاب الزهري ^(٢)
عن سعيد بن المسيب ^(٣) .

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي أبو عبد الله المصري العتقي الفقيه راوية المسائل عن مالك . روى عن بكر بن مضر وابن عيينة وعدة . وعنه ابنه موسى وأصغ ابن الفرج وسحنون بن سعيد وآخرون . قال ابن حبان : كان خيراً فاضلاً ممن تفقه على مذهب مالك وفرع على أصوله . مات سنة ١٩١ هـ .

انظر المزيد في : وفيات الأعيان ١ / ٢٧٦ ، اللباب ٢ / ١٢٠ ، العبر ١ / ٣٠٧ ، شذرات الذهب ١ / ٣٢٩ ، الديباج المذهب ١٤٦ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٦ ، تهذيب التهذيب ٦ / ٧١ ، حسن المحاضرة ١ / ٣٠٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٩٧ .
(٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد الأعلام ، نزل الشام وروى عن سهل بن سعد وابن عمر وجابر وأنس وغيرهم من الصحابة وخلق من التابعين . وعنه أبو حنيفة ومالك وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز وهما من شيوخه وابن عيينة والليث والأوزاعي وابن جريج وخلق .

قال ابن منجويه : رأى عشرة من الصحابة وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سيقاً لمتون الأخبار ، فقيهاً فاضلاً . وقال الليث : ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه . وكان ابن شهاب يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته . مات سنة ١٢٤ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٨ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٤٥ ، حلية الأولياء ٣ / ٣٦٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ٣٠٦ ، شذرات الذهب ١ / ١٦٢ ، طبقات الفقهاء ٦٣ ، طبقات القراء لابن الجزري ٢ / ١٦٢ ، العبر ١ / ١٥٨ ، النجوم الزاهرة ١ / ٢٩٤ ، وفيات الأعيان ١ / ٤٥١ .

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أبو محمد المدني سيد التابعين . ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال محمد بن يحيى بن حبان : كان رأس من بالمدينة في دهرة المقدم عليهم في الفتوى سعيد ويقال : فقيه الفقهاء . وقال قتادة : ما رأيت أحداً =

عن أبي هريرة ^(١) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
«تكون بالمغرب مدينة تسمى بقاس أقوم أهل المغرب قبله وأكثرهم صلاة وأهلها
على السنة والجماعة ومنهاج الحق لا يزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم
يدفع الله عنهم ما يكرهونه إلى يوم القيامة» ^(٢) .

= قط أعلم بالحلال والحرام منه . وكذا قال مكحول والزهرى وسليمان بن موسى .
وعنه إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد . وقال أحمد بن حنبل:
أفضل التابعين سعيد بن المسيب قيل له فعلقمة والأسود . قال : سعيد وعلقمة والأسود .
وقال يحيى بن سعيد: كان أحفظ الناس لآحكام عمر وأقضيته، كان يسمى راوية عمر .
وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة . مات سنة
٩٤ هـ وقبل سنة ٩٣ هـ .

انظر المزيد في : تذكرة الحفاظ ١ / ٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤ / ٨ ، خلاصة تذهيب
الكمال ١٢١ ، شذرات الذهب ١ / ١٠٢ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٨٨ ، طبقات الفقهاء
٥٧ ، العبر ١ / ١١٠ ، النجوم الزاهرة ١ / ٢٢٨ .

(١) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ، حفظ عن النبي صلى الله عليه
وسلم الكثير ، وعن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب . وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن
فيك وخلق كثير . وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة
والتواضع . قال البخارى : روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر وولى إمرة المدينة وناب أيضاً
عن مروان في إمرتها . وقال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره .
مات سنة ٥٨ هـ .

انظر المزيد في : أسد الغابة ٦ / ٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٢ ، خلاصة تذهيب
الكمال ٣٩٧ ، شذرات الذهب ١ / ٦٣ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٣٧٠ ،
طبقات القراء للذهبي ١ / ٤٠ ، العبر ١ / ٦٢ ، النجوم الزاهرة ١ / ١٥١ .

(٢) مضى عليه .

وأن أبي مطر هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي مطر من أولاد
أبي موسى الأشعري^(١) وكان مجاب الدعاء، توفى بالإسكندرية سنة تسع وثلاثين
وثلاثمائة كذا نقل صاحب المدارك^(٢) ودراس رحمه الله ممن أدخل مذهب مالك

(١) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس استعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع معاذ
علي اليمن ثم ولي لعمر الكوفة والبصرة وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله ، إليه
المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، حدث عنه طارق بن شهاب وابن المسيب وخلق .
قال أبو إسحاق سمعت الأسود يقول : لم أر بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى . مات
في سنة ٤٤ هـ .

انظر المزيد في : أسد الغابة ٦ / ٣٠٦ ، الإصابة ٢ / ٣٥١ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٣ ،
خلاصة تذهيب الكمال ١٧٨ ، شذرات الذهب ١ / ٥٣ ، طبقات الفقهاء ٤٤ ،
طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٤٤٢ ، طبقات القراء للذهبي ١ / ٣٧ ، العبر ١ / ٥٢ ،
النجوم الزاهرة ١ / ١٢٦ .

(٢) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض العلامة عالم
المغرب أبو الفضل اليحصبي السبقى الحافظ . ولد سنة ٤٧٦ هـ أجاز له أبو علي
الغسانى وتفقهه وصنف التصانيف التى سارت بها الركبان " كالتشفاء " و " طبقات
المالكية " و " شرح مسلم " و " المشارق " فى الفـريب و " شرح حديث أم زرع "
و " التاريخ " وغير ذلك ، وبعد صيته وكان إمام أهل الحديث فى وقته ، وأعلم الناس
بعلمه ، وبال نحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم . وولى قضاء سبته ثم غرناطة .
مات سنة ٥٤٤ هـ .

انظر المزيد فى : إنباه الرواة ٢ / ٣٦٣ ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٥ ، بغية المتلمس
٤٢٥ ، تاريخ الإسلام وفيات سنة ٥٤٤ ، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٠٤ ، تهذيب الأسماء
واللغات ٢ / ٤٣ ، الديقاج المذهب ١٦٨ ، الرسالة المستطرفة ١٠٦ ، روضات
الجنات ٢ / ١١٥ ، طبقات المفسرين للداودى ٢ / ١٨ ، العبر ٤ / ١٢٢ ، المعجم =

رضى الله عنه بلاد المغرب فإنه كان الغالب عليه في القديم على مذهب الكوفيين إلى أن دخل على بن زياد^(١) وابن أشرس^(٢) وأحمد بن بهلول بن راشد^(٣) وبعدهم

= لابن الأبار ٣٠٦ ، مفتاح السعادة ١٤٩ / ٢ ، النجوم الزاهرة ٢٨٥ / ٥ ، وفيات الأعيان ٣٩٢ / ١ .

(١) هو أبو الحسن علي بن زياد التونسي العيسى قيل أصله من العجم ، ولد بطرابلس ثم أنتقل إلى تونس فسكنها . سمع مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن لهيعة . سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وشجرة وأسد بن القرات وغيرهم . هو أول من أدخل الموطأ بإفريقية وجامع سفيان .

(٢) هو عبد الرحيم بن أشرس هو أنصاري من العرب من أهل تونس كنيته أبو مسعود وسماه المالكي العباس ، ثقة فاضل سمع من مالك بن أنس ومن ابن القاسم . روى عنه عبد الرحمن حديث الموطأ . قال سحنون : كان علي بن زياد خير أهل إفريقية في الضبط للعلم ، وكان ابن أشرس أحفظ علي الرواية ، وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . روى عنه ابن وهب وسعيد بن أبي جعفر وعمران بن هارون وغيرهم .

(٣) هو أبو عمر البهلول بن راشد من أهل القيروان . كان ثقة مجتهداً ورعاً مستجاب الدعوة ، كان عنده علم كثير . سمع من مالك والثوري وعبد الرحمن بن زياد ويونس ابن زيد وحتظلة بن أبي سفيان وموسى بن علي بن رباح والليث بن سعد والحارث بن نبهان ، سمع الموطأ من علي بن زياد وابن غانم وسمع جامع سفيان الصغير من ابن أبي الخطاب وأبي خارجة والجامع الكبير من علي بن زياد . سمع منه سحنون وعون الجعفرى وخالد بن يزيد وأبو سنان ويحيى بن سلام وغيرهم . كان بهلول بن راشد من أهل الفضل والعلم والورع معروفاً بذلك مع العبادة والاجتهاد وقال سحنون : كان البهلول رجلاً صالحاً ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره ، وإنما اقتديت به في ترك السلام على أهل الأهواء .

فترات^(١) وغيرهم من الحافظين لمذهب مالك فأخذهم كثير من الناس به فلم يزل ينتشر ويظهر إلى أن جاء سحنون^(٢) فعظ خلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في أقطار المغرب إلى زماننا هذا .

وأما أهل الأندلس فكان رأيهم منذ أفتتحت على رأى الأوزاعي^(٣) إلى أن

(١) هو أبو سهل فرات بن محمد العبدى هو معدود من رجال سحنون وسمع منه ومن عون ابن يوسف وابن أبي حسان اليحصى وأبي ذكرياء الحفرى وابن عبد الحكم وابن بكير ونعيم بن حماد وأصبع بن أبي الفرج ومحمد بن فضيل .

(٢) هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى وغلب عليه لقب سحنون سماع يافريقية من على بن زياد والعباس بن أشرس ومهلول بن راشد وعبد الله بن غانم ومعاوية الصمادحى . ثم رحل إلى الشرق سنة ١٨٨ هـ فسمع بمصر من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وابن عبد الحكم وشعيب بن الليث ويوسف بن عمر . وسمع بالمدينة من عبد الله بن عبد الله بن نافع ومعن بن عيسى وأنس بن عياض وابن الماجشون والمغيرة بن عبد الرحمن ومطرف ، وسمع بالشام من الوليد بن مسلم وأيوب بن سويد، وسمع بمكة من سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح وحفص بن غياث ويزيد بن هارون وأبي داود الطيالسى وغيرهم ولد سحنون سنة ١٦٠ هـ ، ومات سنة ٢٤٠ هـ .

(٣) هو عبد الرحمن الأوزاعي بن عمرو وأبو عمر وإمام أهل الشام في وقته نزيل بيروت روى عن عطاء وابن سيرين ومكحول وخلق . وعنه أبو حنيفة وقتادة ويحيى بن أبي كثير والزهرى وشعبة وخلق . قال ابن عيينة كان إمام أهل زمانه . وقال ابن سعد : كان ثقة مأموناً ، صدوقاً فاضلاً ، خيراً كثير الحديث والعلم والفقاه ولد سنة ٨٨ هـ ، ومات سنة ١٥٧ هـ .

انظر المزيـد في : تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٨ ، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٣٨ ، خلاصة تهذيب الكمال ١٩٧ ، العبر ١ / ٢٢٧ .

رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن^(١) وفرعوس بن العباس^(٢) ومن بعدهما فجاءوا بعلم مالك وأبانوا للناس من فضله واقتداوا الأئمة به فعرف حقه ودرس مذهبه إلى أن أخذ به أمير الأندلس وهو هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان^(٣) وأمر الناس جميعاً بالتزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه وذلك في العشرة بعد السبعين ومائة في حياة مالك رحمه الله وشيخ المفتين حينئذ

(١) هو أبو عبد الله عياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون قرطبي . سمع من مالك الموطأ روى عن عبد الله بن عقبة والليث بن سعد وسليمان بن بلال وعبد الله بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن أبي الزناد وعبد الله بن عمر العمري ويحيى بن أيوب وأبي معشر وموسى بن علي ومحمد بن عبد الله بن عمر الليثي والقاسم بن عبد الله وغيرهم وهو أول من أدخل الموطأ في الأندلس وعلم المسنن ومسائل الحلال والحرام ووجوه الفقه والآحكام .

(٢) هو فرعوس بن العباس بن فرعوس بن حميد من أهل قرطبة يكنى أبا الفضل سمع مالك والثوري وابن جريج والليث وابن أبي خازم وغيرهم . كان رجلاً متديناً فاضلاً ورعاً، كان علمه المسائل على مذهب مالك وأصحابه . مات سنة ٢٢٠ هـ .

(٣) هو هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك — من مروان أبو الوليد ثاني ملوك الدولة الأموية بالأندلس ولد بقرطبة سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦م وولاه أبوه ماردة وبويج بعد وفاة أبيه سنة ١٧٢ هـ فحسنت سياسته، وكان حازماً وشجاعاً شديداً على الأعداء راغباً في الفتح موفقاً بنى عدة مساجد، وتم بناء جامع قرطبة. وكان أبوه قد بدأ به وكان يبعث إلى الكور من يسأل أهلها عن سيرة عماله فيها وأحبه الناس لعدله، وأهل الأندلس يشبهونه بعمر بن عبد العزيز، استمر إلى أن توفي بقرطبة سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م .

انظر الزيد في : البيان المغرب ٢ / ٦١ ، نفع الطيب ١ / ١٥٨ ، تاريخ ابن خلدون ٤ / ١٢٤ ، الكامل ٦ / ٤٩ ، أخبار مجموعة ١٢٠ ، جلدوة المقتبس ١١ ، الحلة السراء ٣٧ ، المعجب ١٩ .

صعصعة بن سلام^(١) إمام الأوزاعية وقد لحق به من أصحاب مالك غيره فأنتمز
الناس بهذا المذهب وحملوا بالسيف عن غيره جهلة وأدخل فيها قـوم
الراجلين بالغرباء شيئاً من مذاهب الإمام الشافعي^(٢) وأبي حنيفة^(٣)

(١) هو صعصعة بن سلام بن عبد الله الدمشقي أبو عبد الله خطيب قرطبة ، وأول من أدخل
علم الحديث ومذهب الأوزاعي إلى الأندلس ، ولد ونشأ بدمشق وانتقل إلى قرطبة ،
فكانت الفتيا دائرة عليه فيها ، أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصدرأ من أيام هشام ،
وتوفى بها سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م .

انظر التفاصيل في : جذوة المقتبس ٢٢٧ ، النجوم الزاهرة ٢ / ١٤٠ ، تاريخ
ابن عساكر ٦ / ٤٢٣ ، البداية والنهاية ١٠ / ٢٠٩ .

(٢) انظر المزيد في : إرشاد الأريب ٦ / ٣٦٧ ، الأنس الجليل ١ / ٢٩٤ ، البداية والنهاية
١٠ / ٢٥١ ، تاريخ بغداد ٢ / ٥٦ ، تاريخ الخميس ٢ / ٣٣٥ ، تذكرة الحفاظ
١ / ٣٦١ ، ترتيب المدارك ٢ / ٣٨٢ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٤٤ ، تهذيب التهذيب
٩ / ٣٥ ، حسن المحاضرة ١ / ٣٠٣ ، حلية الأولياء ٩ / ٦٣ ، خلاصة تهذيب الكمال
٢٧٧ ، الديباج ٢٢٧ ، الرسالة المستطرفة ١٧ ، شذرات الذهب ٢ / ٩ ، صفوة الصفوة
٢ / ٩٥ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٨٠ ، طبقات الفقهاء ٧١ ، طبقات القراء لابن الجزرى
٢ / ٩٥ ، طبقات المفسرين للداودي ٣ / ٩٨ ، طبقات ابن هداية الله ١١ ، العبر
١ / ٣٤٣ ، الفهرست ٢٠٩ ، الباب ٥ / ٢ ، مرآة الجنان ٢ / ١٣ ، النجوم الزاهرة
٢ / ١٧٦ ، الوافي بالوفيات ٢ / ١٧١ ، وفيات الأعيان ١ / ٤٤٧ .

(٣) انظر المزيد في : البداية والنهاية ١٠ / ١٠٧ ، تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢٣ ، تذكرة الحفاظ
١ / ١٦٨ ، تهذيب الأسماء ٢ / ٢١٦ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٤٩ ، الجواهر المضيئة
١ / ٢٦ ، خلاصة تهذيب الكمال ٣٤٥ ، شذرات الذهب ١ / ٢٢٧ ، طبقات ابن سعد
٦ / ٢٥٦ ، طبقات الفقهاء ٨٦ ، طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ٣٤٢ ، العبر
١ / ٢١٤ ، الباب ١ / ٣٦٠ ، مرآة الجنان ١ / ٣٠٩ ، مفتاح السعادة ٢ / ١٩٥ ،
ميزان الاعتدال ٤ / ٢٦٥ ، النجوم الزاهرة ٢ / ١٢ ، وفيات الأعيان ٢ / ١٦٣ .

وأحمد^(١) ودارد^(٢) فلم يمكنوا من نشره فمات بموتم ألا من تدين به في نفسه ممن لا يوبه بقوله وعلى ذلك مضى الأندلسيون إلى وقتنا هذا وسمى دراس لكثرة درسه العلم أصله من مدينة فاس سمع من شيوخ بلده وإفريقية من أبي بكر بن اللباد^(٣) وغيره وبالأندلس من شيوخها وله رحلة حج فيها وسمع من علي بن أبي مطر بالإسكندرية كتاب ابن المواز ، وحدث به بالقيروان سمعه منه أبو محمد بن أبي زيد^(٤) وأبو الحسن القابسي ودخل الأندلس مجاهداً وطال بها فسمع منه

(١) انظر المزيد في : تاريخ بغداد ٤ / ٤١٢ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣١ ، قديب التهذيب ١ / ٧٢ ، حلية الأولياء ٩ / ١٦١ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٠ ، الرسالة المستطرفة ١٨ ، شذرات الذهب ٢ / ٩٦ ، طبقات الخنابلة ١ / ٤ ، طبقات المفسرين للداودي ١ / ٧٠ ، العبر ١ / ٤٣٥ ، الفهرست ٢٢٩ ، مرآة الجنان ٢ / ١٣٢ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٤ ، وفيات الأعيان ١ / ١٧ .

(٢) هو داود بن عمر و الضبي أبو سليمان البغدادي . روى عن ابن عليه وإسماعيل بن عياش وجريز بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء وحماد بن زيد وحفص بن عياث وابن عيينة . وعنه أحمد بن حنبل ومسلم وإبراهيم الحاربي وأحمد بن أبي خيثمة وحجاج ابن الشاعر وابن أبي الدنيا . كان أحمد بن حنبل يأخذ له الركاب . مات سنة ٢٢٨ هـ .

انظر المزيد في : تذكرة الحفاظ ١٢ / ٤٥٦ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٦٣ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٥٧ ، العبر ١ / ٤٠٢ .

(٣) هو محمد بن محمد بن وشاح مولى الأقرع مولى موسى بن نصير اللخمي من أصحاب يحيى بن عمر وتفقه به ، وأخذ عن أخيه محمد بن عمر وابن طالب وحماد بن القطان وأحمد بن يزيد وعبد الجبار بن خالد والمغامي وأحمد بن أبي سليمان . روى عنه زياد بن عبد الرحمن القروي ومحمد بن الناظور ودراس بن غسمايل . ثقة .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد إمام المالكية في وقته وقدمهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله ، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية ، مات ٣٨٤ هـ .

أبو الفرج عبدوس^(١) بن خلف وخلف بن أبي جعفر^(٢) وكان رحمه الله من الحفاظ
المعدودين من أهل الفضل والدين ممن له الإمانة بمذهب مالك وأصحابه توفي بفاس
سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وقبره بخارج باب الجيزيين معروف والدعاء عنده
مستجاب وله بفاس مسجد يعرف به وقد جدد قبره الأمير أبو عنان^(٣) رحمه الله
وجعل هنالك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ وفاته ونصبت عند رأسه في سنة أربع
وخمسين وسبعمائة .

(١) ورد ذكره في ترتيب المدارك للقاضي عياض .

(٢) ورد ذكره أيضاً في ترتيب المدارك للقاضي عياض .

(٣) هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني أبو عنان المتوكل على الله من ملوك

الدولة المرينية بالمغرب . ولد بفاس الجديدة (المدينة البيضاء) سنة ٧٢٩ هـ /

١٣٢٩م ونشأ محبوباً في قومه ، لفضله وعلمه ، وولاه أبوه أمارة " تلمسان " ثم ثار على

أبيه ، وبويع في حياته سنة ٧٤٩ هـ ، ولما مات أبوه سنة ٧٥٢ هـ ، استتب أمره

فبدأ بإخضاع بني عبد الواد وكانوا أمراء زنانة بتلمسان ، فقاتلوه فظفر بهم ودخل

تلمسان وانتظم له أمر المغرب الأوسط وعصاه أخ له يدعى " ابا الفضل " فأرسل إليه

من قاتله في جبل " السكسيوى " وجبال " المصامدة " من بلاد السوس ، فأعتقل وحمل

إليه فسجنه أياماً ثم أمر بخنقه في مجلسه سنة ٧٥٤ هـ ، وقصد إفريقية سنة ٧٥٨ هـ ،

فأنتزع قسنطينة وتونس من أيدي الحفصيين وبدت له ريبة في إخلاص بعض قواده ،

فعاد إلى فاس وقتلهم . ومرض أياماً فدخل عليه وزيره الحسن بن عمر الفردودي فقتله

خنقاً لسبب بطول شرحه . وقد ذكره السلاوى في الاستقصا وقال فيه : كان جهورى

الصوت . في كلامة عجلة ، عظيم اللحية عملاً صدره ، فارساً شجاعاً يقوم في الحرب مقام

جنده ، لقيهاً يناظر العلماء ، كاتباً بليغاً شاعراً له آثار من زوايا ومدارس .

مات سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م .

انظر المرزبد في : جذوة الاقتباس ٣١٤ - ٣١٦ ، الاستقصا ٧٩ / ٢ - ١٠٢ ،

الحلل المواشبة ١٣٤ .

وأخبر ابن التبان أن رجلاً من أهل المغرب قال له سنة سبع وخمسين
 وثلاثمائة نمت بالرمادة فرأيت السماء والأرض تبكبان. فقلت ما هنا فقيل لي مات
 أبو ميمونة دراس بن إسماعيل^(١) فكان كذلك وكان كثيراً ما ينشد :

غفلت وحارى المرب فى أثرى بحدو	وليس معى زاد وفى سقرى بُعد
أنعم جسمى باللباس ولينيه	وليس لجسمى من قميص البلايد
كأنى به قدمد فى برزخ البلا	ومن فوقه ردم ومن تحته لحد
وقد ذهبت منى المحاسن وأمتحت	ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
فكيف إذا يارب بالنار قربت	ونارك لا يفوى لها الحجر الصلد
عسى غافر الزلاب يغفر زلتى	فقد يغفر المولى إذ أذنب العبد

فقال أكثر هذا الفصل من المدارك وغيره ومن أراد الوقوف على أكثر من
 هذا فليطالع كتابي المستفاد في مناقب العباد فترجع إلى ما نحن بصدده . ولما عزم
 الإمام إدريس على بناء مدينة فاس بعد أن أخبر بتربتها وهوائها ورياحها ومائها
 وتحقق بعدها من الصحراء والبحار والجبال الشاخنة والسياخ العاقمة . وعلم أن
 ذلك مما يليق بمسكنها رفع يده إلى السماء ودعا الله وقال : اللهم أجعلها دار علم
 وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها سنتك وحدودك وأجعل أهلها متمسكين بالسنة
 والجماعة ما أبقيتها .

ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الأرض لله يورثها من يشاء من
 عباده والعاقبة للمتقين . ثم أخذ المعون بيده وابتأ بجفر الأساس وأتبعه الفعلة في
 ذلك فلم تزل دار العلم وإقامة السنة ببركة وبركة دعائه رضى الله عنه .

(١) النظر : القاضى عياض ٤ / ٣٩٥ - ٣٩٧ .

وذكر ابن غالب في تاريخه أن الإمام إدريس حين عزم على بناء فاس واختطاطها مر به شيخ كبير من الرهبان كان مترهباً في صومعة قريبة من تلك الجهات فوقف الإمام إدريس وسلم عليه ثم قال له : "أيها الأمير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين ؟ " قال : أريد أن أختط بينهما مدينة لسكنائى وسكنى ولدى من بعدى يعبد الله تعالى بها ويتلى فيها كتابه وتقام بها حدوده . فقال له أيها الأمير إن لك عندي في ذلك بشرى قال وما هي أيها الراهب؟ قال إنه أخبرني راهب كان قلسي في هذه الديار هلك منذ مائة سنة أنه يجددها ويحیی أثرها ويقيم دراسها رجل من آل بيت النبوة يسمى إدريس ولها شأن عظيم وقد رجيم لا يزال دين الإسلام فأغابها إلى يوم القيامة . فقال الإمام إدريس الحمد لله أنا إدريس وأنا من آل النبوة وأنا بانيتها إن شاء الله تعالى فكان ذلك مما قوى عزم إدريس على بنائها ويدل على ذلك والله أعلم ما رواه البرنسي^(١) أن رجلاً من اليهود احتفر أساس دار من قنطرة عزيلة من المدينة المذكورة والموضع يومئذ شعراء بالطخش والبلوط وغير ذلك فوجد في الأساس قطعة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالخط الهندي، هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة العبادة فقيل إن الإمام إدريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة فصنع له فأس من ذهب وفضة، فكان الإمام إدريس يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به

(١) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس زروق فقيه محدث صوفي من أهل فاس " المغرب " تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة وغلب عليه التصوف فتجرد وساح. ولد سنة ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م وتوفي في تكرين سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م

انظرالمزيد في : جذوة الاقتباس ، ٦٠ ، البستان ٤٥ - ٥٠ ، الضوء اللامع ١/٢٢٢ ، المنهل العذب ١/ ١٨١ ، شذرات الذهب ٧/ ٣٦٣ .

كالأساسيات للفعلة فكش ذلك على ألسنتهم في طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفاس خذوا الفاس أحفروا بالفاس فسميت مدينة فاس لأجل ذلك قاله صاحب الاستبصار وهذا والله أعلم . لا يصح لأن الإمام إدريس رضى الله عنه يجهل أن استعمل الذهب محرم على رجال بل يقال أنه لما شرع في حفر أساسها من جهة القبلة، وجد في الحفر فاس كبير طوله أربعة أشبار وسعته شبر واحد وزنته ستون رطلا من عمل الأوائل فسميت المدينة به واضيفت إليه نقل معناها المظفرى وقال لأنه لما تمت بالبناء وقيل للإمام إدريس كيف تسميها قال أسميها بأسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني الراهب أنه كانت هنا مدينة أزلية من بناء الأوائل فخربت من الإسلام بألف عام وكان أسمها مدينة ساف ولا كنى أقلب أسمها الأول لا سميتها به فجاء به فاس ، كذا نقله أبو الحسن بن عبد الله بن أبي زرع^(١) في كتابه المسمى بالأنيس وكان تأسيس مدينة فاس على ما ذكر المؤرخون الذين عنوا بتاريخها وبمحتوا عن أمورها وأحداثها على نحو ما يذكر .

أما عدوة الأندلس فأما أسست في يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة الثنتين وتسعين ومائة أقام الإمام إدريس منها بالموضع المعروف بجراوة حيث نزل باخبيته وقبابه وابتدأ سورها من جهة القبلة وفتح هناك باباً سماه باب القبلة ثم مر بالسور المعروف بالجرواوة وموضع زيتون ابن عطية وفتح هناك باباً سماه باب جرواوة ثم مر بالسور على الموضع المعروف بالمخفية إلى الوادى الكبير إلى بروزخ

(١) هو على بن عبد الله أو ابن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسى ، مؤرخ من أهل فارس ، له " الأنيس المطرب وروض القرطاس " في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية و "زهرة البستان في أخبار الزمان" لا يزال في حكم المفقود.

وفتح هناك باباً سماه بباب المخفية كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ثم مر
بالسور إلى الشيبوبة وفتح هناك باباً سماه باب الشيبوبة كان يقابل باب الفصيل
المعروف الآن بباب الفقيه من عدوة القرويين ثم مر بالسور إلى رأس مجر الفرج
وفتح هناك باباً سماه باب أبي سفيان ثم مر بالسور على جرواوة وفتح هناك باباً سماه
باب الكنيسة يعرف الآن بباب الخوخة وبخارجه كان يسكن المرضى لتكون
روائحهم تحت الريح الغربية فأثما الغالبة لفاس وليكون تصرفهم من الماء بعد خروجه
من البلد ولا يصل من ضررهم شيء للمدينة ثم انتقلوا من الموضع المذكور لكهوف
باب الشريعة الذى بأعلى المدينة فى زمن الجماعة وكانوا يتصرفونها فأمر بنقلهم
لكهف بظاهر برج الكوكب وهو الذى فيه سكناهم الآن ثم مر بالسور إلى أن
وصل باب القبلة المذكورة وقد أستدار بها السور وبنى بها جامعاً للخطبة بقرب
رحبة البتر ويعرف بجامع الأشياخ .

وأما عدوة القرويين فأثما أسست فى مستهل ربيع الأول سنة ثلاث
وتسعين ومائة أقام بها بالموضع المعروف بالمفرمدة ويعرف الآن بدار الفيظون
وبقرب مسجد الشرفاء حيث سكنى حفيد الإمام إدريس نفعنا الله بهم وحشرنا فى
زمرتهم وابتدأ أسوارها من رأس عقبة عين عاو وفتح هناك باباً سماه باب إفريقية وبه
يعرف الآن وجدده ووسعه الأمير المستعين فى شهر شوال سنة ستين وسبعمائة
وكان حول العين هناك غيضة عظيمة يقطع فيها الطريق عبر أسود اسمه علو فرجع
ذلك فلأمام إدريس وثبت عليه فأمر بصلبه على شجرة هناك إلى أن تقطعان
أشلاوه فسميت العين بأسمه ثم مر بالسور إلى عين دردور إلى عقبة السعتر وفتح
هنالك باباً سماه بباب الفصيل وهو الذى ذكرنا يقال له باب النقبة ثم مر بالسور
من ضيمة الوادى وفتح هناك باباً سماه باب الفرج ويعرف الآن بباب السلسلة ثم
مر بالسور إلى عيون ابن الصاوى المعروفة الآن بعيون الكرازين ثم فتح هنالك باباً

سماه باب الحديد ثم مر بالسور لأعلى عقبه الجرف وفتح هناك باباً سماه باب القلعة ثم مر بالسور حتى وصل به باب إفريقية المذكور وقد استدار بها السور ثم بنى جامعاً للخطبة متصلاً بمجزله وهو المعروف الآن بمسجد الشرفاء ولم يزل على نحوها بنات الإمام إدريس بن إدريس إلى أن اعتلت سفقه وتخلفت أجداره وتداعى إلى السقوط فانتدب لبنائه من أبتغى الأجر من الله تعالى من أصحاب الشرفاء الساكنين هناك وإقامة على ما هو عليه الآن وذلك في سنة ثمانية وسبعمائة وكان في أثناء ذلك أمر الناس ببناء الدور والغرس ونادى فيهم أن كل من بنى موضعاً أو أغترسه قبل تمام بناء السور فهو له هبة لله تبارك وتعالى، فيظهر من هذا والله أعلم .

أن من بنى أو أغترسه بعد تمام السور إنما يكون باستتجار الأرض وهو سبب الجزاء في بعض جهاتها وقد بحث بعض عمال فاس لم كانت دار الجزاء وبارئها دار حرة لا جزاء عليها فصح عنده أن بعض المواضع يكون بها الدور والأجنان والقنادق وغير ذلك ثم ينجلي أو يموت أهلها ولا وارت لهم فيرج ذلك لنظر العامل في الجزاء فيجزيه ويتخلص بوجه صحيح ثم يخرب أيضاً فيجزيه العامل كذا ذكر أشياخنا القدماء ولما فرغ الإمام إدريس من بناء أسوار المدينة وجامع خطبتها أنزل القبائل الوافدين عليه من الأندلس بالعدوة الشرقية منها فسميت لذلك عدوة الأندلس ونزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت لذلك عدوة القرويين ثم أمرهم بزيادة البناء والغرس فبنى الناس الدور والمساجد والحوانيت وغرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس إلى مصبه في نهر سبو بأنواع الأشجار وحرثت سائر نواحيه بأنواع الزراعات فعمرت الأرض بالغراسة والحراثة، وظهر صلاح ذلك والانتفاع بغلاته في سائر الأوقات وكثرت الحيزات وزادت العمارات وقصدها الناس على اختلافهم من جميع البلاد والأصفاة وسكنها الفقهاء والعلماء والتجار والصناع ، ولما سكنت مدينته

واستقامت رعيته وحضرته الجمعة صعد المنبر فخطب الناس ثم رفع يديه في آخر خطبته وقال : اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباحة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وأنا أردت أن تعبد فيها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقى من الدنيا، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه وأكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الرزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شيء قدير. فأمن الناس على دعائه فكثرت بالمدينة الخيرات وظهرت البركات وأقام الإمام إدريس ساكناً بها على سنة سبع وتسعين ومائة ، فخرج إلى غزو من بقى من الكفار بنفيس وبلاد المصامدة فوصل غليها ودخل مدينة نفيس ومدينة أغمات^(١) وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع إلى مدينة فاس فأقام بها إلى شهر محرم من سنة تسع وتسعين ومائة ، فخرج منها إلى غزو تلمسان لتكون الكلمة واحدة في أعزاز الدين فغلب عليها وأفتحها ونظر في أموالها وأصلح أسوارها وجامعها الذى باقاديير وصنع فيه منبراً وكتب اسمه عليه كذا نقله ابن غالب وصاحب الأنيس. وقال عبد الملك الوراق في مقايسه دخلت جامع تلمسان في سنة خمس وخمسين وخمسمائة قرأيت في رأس منبرها الواحاً من بقية المنبر القديم فدسمت هناك وعليها مكتوب هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنه في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة ثم رجع الإمام إدريس على مدينة فاس فلم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله في أول شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانية أشهر فكان أيام كفالته وبقية حمله

(١) هي ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراکش .

انظر : معجم البلدان ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

والساكنون أهنيم لقد رزقوا
وماؤك السلسل الصاقى أم الورق
حتى المجالس والأسواق والطرق

وكساه حلة ريشه الطاووس
وكان ساحات الديار كؤوس

وللفقيه أبي عبد الله المغيلي^(١) في وصف فاس وهو يتشوق إليها حين ولى القضاء وهو بمدينة أزمورة^(٢).

وسفاك من صوب الغمام المسيل
حمص بمنظرها البهى الأجل
ماء الد من الرحيق السلسل
بجداول كالأيم أو كالفصيل
أنس تذكره بهيم تبليـل
فمع العشى الغرب فيه استقبل
وأكرمهم بما عنى فديتك وأهمل
لا زال جانبك المحبور معموراً
أرض تجنبت الآثام والزورا

عظيم القدر ليس له عيب

يا فاس منك جمع الحسن مسترف
هذا نسيمك أم روح لراحتنا
أرض تخللها الأنهار داخلها
وقال آخر :

بلد أعرته الحمامة طوقها
فكأنها الأنهار فيه مداومة

يا فاس حبي الله أرضك من ثرى
ياجنة الدنيا التى أريت على
غرف على غرف وتجرى تحتها
بساتين من سندس قد زخرفت
وبجامع القروى شرف ذكره
وبصحته زمن المصيف محاسن
وأجلس إزاء الحصة الحسنابه
فأعدوة القرويين التى كرمت
ولا سلب الله عليها ثوب نعمة
وقال آخر :

أليس لها على البلدان فضل

(١) ورد ذكره وترجمة له في البستان لابن مريم .

(٢) بلد بالمغرب في جبال البربر

انظر : معجم البلدان ١ / ٢١٦ .

أليس ترى عباد الله طمرا وكلهم لملكها عيـد

وقالت الحكماء : لا تستوطن إلا بلدة فيها سلطان قاهر وطبيب ماهر
وفهر جار وقاض علل وسوق قائم .

وقالت الحكماء أيضاً : أحسن موضوعات المدن أن تجمع خمسة أشياء
وهى النهر الجارى والمحرث الطيب والمخضب القريب والسور الحصين والملك
القاهر إذ به نجاح مالها وتأمين سبلها وقد جمعت قانس هذه الخصال التى هى كمال
المدن وشرقها وزادت عليها محاسن كثيرة وساسرد منها نبأ فمتها فمرها المعروف
بنهر الجواهر الذى بأعلاها بنحو ستة أميال وهو يخرج من نحو ستين عنصر أحدها
ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة الغرب مسامة لمشرق الشمس وله منظر
عجيب لصفاته وأهماره على الرضاض فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياة
فيصير فمراً كبيراً يجرى فى بسط من الأرض يكاد لا يتبين جرى الماء فيه لا استواء
أرضه على أن يتحدر إلى البلد فينقسم فى داخلها على جداول كثيرة فيشق أكثر
جهاقها ويتشعب فى داخلها فيتقطع به فى مساجلها وسفائها ودورها وأرجائها
وحماماتها ومسقى جناقها ثم يخرج منها وقد حمل ألقاها وسائر فضلاتها وليس لهذا
النهر نظير لصفاته وعلوبه مائه وصفته وبرودة عيونه فى زمن الصيف وسخاقتها فى
زمن الشتاء وهو يسخن سريعاً يبرد سريعاً وينهضم سريعاً وهذه لصفات محدودة
عند الأطباء ويخرج منه الصدف الثمين الذى يقوم الجوهر ولهذا سمي فمراً الجواهر ،
ومن منافعه أنه يفتت الحصى التى فى المثانة وينهب الصبيان من الرأس والقمل من
الجسد لم أغتسل به وداوم على شربه ويقمل به الثياب دون صابون فيبيضها
ويكسوها نقاوة ورائحة طيبة وتوجد فى السراطين المستعملة فى ألدوية وليست
توجد فى غيره إلا نادراً ويخرج منها أنواع الحوت مثل اللبين والبورى والسلباح

والسبوقه ذلك كله حوت لذيذ المطعم كثير المنفعة ومنها أن منها ماء العيون والأبار والأنهار فمياة العيون عذبة صافية باردة في الصيف سخونة في الشتاء حين يراد ذلك ومياة الأنهار بعكسها سخنة في الصيف باردة في الشتاء فلا يزال الماء الساخن والبارد موجودين في كل زمان وذلك مما يعين على التطهير والتنظيف. ومنها قرب الملاحه التي عليها من مدر شر الشاطي على وادي مكس وبينهما من المسافة ثمانية عشر ميلاً ومن العجائب في هذه الملاحه أنها تحرث كلها بالزرع فتجد الفرادين في وسط الملح بخضرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلاً من الله ونعمة وكمعدن الجص والصلصال وأنواع الحجارة والرمال وذلك على اختلاف أنواعه فتصير يصرفه الناس في منافعهم .

ومنها خشب الأرز المجلوب لها من جبال بنى يزغة وهى بنحو الثلاثين ميلاً عنها يصل منه كل يوم أحمال كثيرة فلا يعدم فيها بوجه وقد يعمر العود منه في الموضع الذى لا يناله الماء ألف سنة وازيدوا يعبر ولا يستاس .

ومنها الحطب الكثير الذى يدخلها من جميع جهاتها كجبل بنى يهلول فإنه يصبح كل يوم من أحمال البلوط وفحمه ما لا يوصف كثره .

ومنها الخمر العظيم الذى باقطارها سقيا وبعلا وكثرة المجاشر ما ليس على مدينة من مدن المغرب .

ومنها بعدها من أطراف الأرض التى تخاف فيها الفتن والغارات .

ومنها اختصاصها بجميع الفواكه وأصنافها وأنواع الخضر والبقول على اختلافها وسائر نوار الأرض وأزهارها حتى لا يشد شيء من ذلك لمن طلبه منها .

ومنها أنه لا يعدم بها ولا بنواحيها صيد سوى كان سائحاً أو طائراً

أو دارجاً .

ومنها قرب العيون السخنة كحمة خولان وحة أبي يعقوب فإن فيها موقفا
للأستحمام والتداوى وقد أعتنى أمير المسلمين أبو الحسن ببناء حمة خولان على
وجه محكم لثم به مصالح الناس ومنافعهم .

ومنها أن حرها وبردها ليس بشديد جداً وقد اعتدل فيها الفصلان في
أوقاتها فيكون دخول الحريف إلى الشتاء غير متاين الهواء وكذلك كان فصل يتقل
من هواء إلى هواء من زمن إلى زمن بالتدرج فلذلك لها اعتدال الهواء في أرضها
وطاب الثرى وعذب الماء وزكت الأشجار وطابت الثمار واخصبت الزروع
وكثرت الخيرات وحسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وأبدانهم وأنفتحت
أذهانهم وقل ما يخالف بعضهم بعضاً في الخلقة والسور والجمال والتطيف حتى
فضلوا على غيرهم في العلوم والصناعات والمعروفة بأنواع التجارات .

ومنها : أن أهلها في العادة أقل خلاف على أمرائهم وأكثر طاعة لحكامهم

وولاقم .

ومنها : قربها من وادي سبو الذي تسيل منه جميع القوارب والسفن
الصغار إلى البحر الأعظم وتطلع منه إلى ملتقى واديها وقد كانت دار صنعة لا
نشاء القوارب والسفن الصغار وغيرها بالموضع بالحيلالات من أرض بني عبودة التي
بقرب ملتقى وادي فاس في أيام الخليفة عبد المؤمن الموحدى ^(١) حين أراد أن يتوجه

(١) هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمد الكوفي أمير المؤمنين
مؤسس دولة الموحدين المؤنية في المغرب وإفريقية وتونس ، ونسبته إلى كومية " من
قبائل البربر " ولد في مدينة تاجرت بالمغرب " قرب تلمسان " سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م
ونشأ فيها طالب علم ، وأبوه صانع فخار وحج ، والتقى بابن تومرت ، فصادقا
وانتهى الأمر بأن ولي ابن تومرت ملك المغرب الأقصى ولقب بالمهدى ، فجعل لعبد
المؤمن قيادة جيشه ، واخصه بثقته . ولما توفي المهدي اتفق أصحابه على خلافة =

لفتح المهديّة (١) سنة اثنتين وخمسمائة كذا وجد بخط الفقيه أبي عبد الله محمد بن القاضى أحمد بن ميمون الفشتالى (٢) .

= عبد المؤمن ، فتم له الأمر سنة ٥٢٤ هـ . ثم بويع البيعة العامة بجماع " تمليل " ودعى "أمير المؤمنين" سنة ٥٢٦ هـ . ونهض للغزو والفتوح وقاتل الملثمين " بنى تاشفين" فاستأصلهم ، وقتل آخرهم إبراهيم بن تاشفين ودخل مراكش سنة ٥٤١ هـ وجاءته بيعة بعض أهل الأندلس، وأول ما وصله منها وفد من إشبيلية، وكان عاقلاً حازماً شجاعاً موفقاً، كثير البذل للأموال، شديد العقاب على الجرم الصغير، عظيم الاهتمام بشؤون الدين، محباً للغزو والفتوح، خضع له المغربان " الأقصى والأوسط" واستولى على إشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهدية وطرابلس الغرب وسائر بلاد إفريقية ، وأنشأ الأساطيل وضرب الخراج على قبائل المغرب وهو أول من فعل ذلك هنالك، له أبنيه وآثار مجاهدات، ونقل إلى تمليل فدفن منها إلى جانب قبر ابن تومرت . انظر المزيد فى / الاستقصا ١ / ١٣٩ ، تاريخ ابن خلدون ٦ / ٢٢٩ ، الكامل ١٠ / ٢٠١ ثم ١١ / ٢٠٩ ، الحلل الموشية ١٠٧ - ١١٩ ، الخلاصة الفقيه ٥٥ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٠١ ، بغية الرواد ١ / ٨٧ ، جذوة الأقتباس ٢٧٢ .

(١) بالفتح ثم السكون فى موضعين أحدهما بإفريقية والأخرى اختطها عبد المؤمن بن على قرب سلا .

انظر مزيد من التفاصيل فى معجم البلدان ٨ / ٢٠٥ - ٢٠٨ .
(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك أبو عبد الله الفشتالى قاضى فاس ، من العلماء بفقهاء المالكية والأدب ، وأحد الكتاب البلغاء فى عصره وهو الذى خاطبه لسان الدين ابن الخطيب بأبيات أولها :

" ومن ذا يعدّ فضائل الفشتالى " .

ولاه سلطان المغرب قضاء فاس سنة ٧٥٦ هـ وكان يوجهه فى السفارة عنه إلى الأندلس، له تأليف فى " الوفايق" مات سنة ٧٧٧ هـ .

وكذا أمر أمير المؤمنين أبو عنان^(١) بأنشاء جفنتين أمتين بمزول خولان :

إحداهما : شيطى يجرمائة وعشرين محارباً .

والثاني : شلير يجرمستين محارباً .

ودفعاً بوادى سبو إلى أن وصلا إلى معمورة سلا سنة ست وخمسين
وسبعمائة كل ذلك على يد تفته أبي عثمان سعيد بن خرز وقد جلب لمولانا أمير
المسلمين أبي الحسن رحمه الله من المرية بيلة من الرخام الأبيض زنتها مائة قنطار

=انظر : الإحاطة ٢ / ١٣٣ ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٣٠ ، الرحلة الورتيلانية ٤٢٩ ،
التعريف بابن خلون ٦٠ - ٦١ و ٤٤٨ .

(١) هو أبو عنان المريني فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، المتوكل على الله من
ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفارس الجديدة (المدينة البيضاء) ونشأ محبواً في
قومه، لفضله وعلمه ، وولاه أبوه إمارة "تلمسان" ثم ثار على أبيه ويبيع في حياته
سنة ٧٤٩هـ) . ولما مات أبوه سنة ٧٥٢هـ استتب أمره، فبدأ بإخضاع بني
عبد الواد (وكانوا أمراء زناتة بتلمسان) وانتظم له أمر المغرب الأوسط وعصاه أخ له
يدعى " أبا الفضل " فأرسل إليه من قاتله في جبل "السكسيوى" وجبال "المصامدة" من
بلاد السوس ، فأعقل وحمل إليه فمسخه أياماً ثم أمر بمخنقه في مجلسه سنة ٧٥٢هـ
وقصد إفريقية سنة ٧٥٨هـ ، فانتزع قسطنطينية وتونس من أيدي الحفصيين،
وبدت له رية في إخلاص بعض قواده، فعاد إلى فاس ، وقتلهم، ومرض أياماً فدخل
عليه وزيره الحسن بن عمر الفردودي فقتله خنقاً، لسبب يطول شرحه . وقد ذكر
السلوى في الاستقصا وقال فيه : كان جهورى الصوت في كلامه عجله ، عظيم
اللحية، تملأ صدره، فارساً شجاعاً يقوم في الحرب مقام جنده، فقيهاً يناظر العلماء،
كاتباً بليغاً شاعراً ، له آثار من مدارس وزوايا .

انظر : جذوة الأقياس ٣١٤ - ٣١٦ ، الاستقصا ٢ / ٧٩ - ١٠٢ ،

الحلل المشوية ١٣٤ .

وثلاثة وأربعون قنطاراً وسيقت من المرية بالأندلس إلى بلد العرائش إلى أن طلعت بوادى قصر عبد الكريم وجعلت منه على عجلة خشب تجرها القبائل والرؤساء إلى أن وصلت على منزل أولاد مخربة الدين على ضفة سبو الوادى المذكور ووسقت فيه أيضاً على أن وصلت إلى ملقى وادى فاس وجعلت منه على عجل الخشب أيضاً يجرها الناس إلى أن وصلت على مدرسة الصهريج التى بعدوة الأندلس ثم نقلت منها بعد ذلك بأعوام إلى المدرسة التى أمر ببنائها إزاء القرويين وهى التى بوسط صحنها الآن وكان جبلها من المرية سنة خمس وعشرين وسبعمائة فإن قيل كيف يتوصل إلى وزنها فأعلم أن الذين جلبوها لما أرادوا تفريغها علم على الماء وفى الجفن الذى وسقت فيه ثم فرغت منه ومخن فيه فناظر من الرمل بالوزن شيئاً فشيئاً على أن بلغ الماء حد ما علم أولاً فى قاربها ثم فرغ الرمل بذلك وزنها كذا ذكر بعض الشهود الذين حضروا على ذلك ويذكر أنهم كتبوا رسماً بذلك وطواله به أمير المؤمنين أبو الحسن رحمه الله وكذلك فعل بابواب المهديّة التى صنعت من حديد فى أيام عبيد الله^(١) التى زنة كل واحدة منها ألف قنطار على ما ذكر البكرى وكان الأمير أبو الحسن يدفع الأحمال الكثيرة من خشب الأرز من منزل خولان إلى معمورة سلا على صفة يعلمها البحريون ونهر سبو ينبعث عن عنصر فى مغارة مهولة فى شعراء عافطة ببلاد فازاز إلى أن يمر على بلاد وارثين وهذه العين لا يدرك لها فعر وللبربر المجاورين لها تجاريب فيها .

منها : أن المريض إذا ارادوا أن يعملوا هل يبرأ أو يموت ؟ حملوه لرأس العين للموضع المهول فيغطسونه فيه حتى يقرب أن يصفر ثم يخرجونه فإن خرج

(١) هو عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب .

انظر التفاصيل فى : عبيد الله المهدي — للدكتور / حسن إبراهيم

طبعة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٢ م

على فيه دم يستبشرون بحياته وإن لم يخرج من فيه دم أيقنوا بهلاكه وهذا عندهم متصادق لا ينكر قاله صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار ، وهذا لا يفعله إلا جاهل وإن فعله أحد بأحد فمات فإنه يقتص منه وما سوى ذلك من فصول هذا الباب قد يدرك بالمشاهدة والتجربة وتصيد من وادى سبو هذا الشابل الكبير وهو يطلع من معمورة سلا إلى راس عين سبو وتصيد منه الحوت الكبير الذى يعرف بالقرب يكون فى زنة الواحدة منه قنطار وأزيد ويوجد فيه أيضاً الحوت المعروف بالشولى تصنع منه الألوان بأنواع النفل فلا تشم له رائحة السمك .

ومها : ميل الناس لسكانها فمنذ سكنها وهى مملوءة بأصناف الناس وأهل الكور والأمصار وأنتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا أقليم إلا ولهم بها متجر ومزل وصناعة وتصرف وأجتمع فيها ما ليس بمدينة من مدن الدنيا وأنتها التجارات وأهل الصناعات من كل صفع حتى تكامل بها كل متجر وسيفت إليها خيرات الأرض وجمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت فيها بركات العالم فقد صار سكانها لأجل ذلك لا عالم أملك من عالمهم ولا رواية أثبت من روايتهم ولا متكلم أجزل من متكلمهم ولا فأرى أتقى من قارئهم ولا طبيب أمهر من طبيهم ولا كاتب أضبط من كاتبهم ولا خطيب أبرع من خطيبهم ولا واعظ أوعظ من واعظهم ولا شاعر أحقق من شاعرهم ولا صانع أصدق من صانعهم ولا قوال أطرب من مغنيهم .

